أم المؤمنين

ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنها

تأليف الشيخ
خالد الحمودي

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

نسبها ومولدها:

هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن هلال أحد أشراف قريش وسادتها، وأمها هند بنت عـوف سـيدة من سـيدات مكة اللـواتي اشـتهرن بالفضل والنسب الرفيع وهي خالة خالد بن الوليد وكـانت لميمونة أخت شـقيقة كـبرى هي لبابة (أم الفضل) وكـانت زوجة لعم النـبي العبـاس بن عبد المطلب .

وأخرى تـدعى أسـماء تزوجها أيضًـا عمه حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء ولها أخت ثالثة تدعى لبابة الصغرى هي أم خالد بن الوليد .

وهكـذا فـإن المصـاهرة قديمة بين بـني عبد المطلب بن هاشم وبين شـقيقات ميمونة أم المؤمـنين – رضي الله عنها – ولقد كانت الوشائج قوية والصلات متينة.

نشأتها:

ولـدت ميمونة – رضي الله عنها – في مكة قبل بعثة النـبي بست سـنوات لـذا

أدركت الإسلام صغيرة غريرة لا تفقه ولا تميز، فبقيت مع أبويها وعشيرتها على خطى الجاهلية يسيرون يعظمون الأوثان ويقدسون الأصنام ويعبدون ما ينحتون وتقلبت في أحضان الجاهلية ترضع من ثديها قيمًا زائفة وتسقى من ينابيعها الأسنة مبادئ زائلة.

ولكنها مع نموها ونضوجها وتعاقب الأحداث وتوالي الأعوام كانت تستمع بشيء من الوعي والإدراك إلى أنباء البعث والوحي وغيرها وتفكر في ذلك وتمعن التفكير، إذ أوتيت فهمًا وعقلاً وعلمًا وحرية اختيار.

زواجها:

عندما اكتملت ونما عودها وبلغت مبلغ النساء جاءها أحد فتيان مكة المرموقين خاطبًا إياها وهو أبو رهم بن عبد العزى فوافق والدها وزوجه إياها، وانتقلت ميمونة – رضي الله عنها – إلى دار زوجها، فأقامت معه راعية لشئونه مدبرة لأموره حافظة لعهده، لكنها كانت كثيرة التردد على دار

أختها أم الفضل لبابة الكبرى زوجة العبـاس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكانت تستمع منها إلى بعض تعـاليم الإسـلام وإلى أبنـاء المسـلمين المهـاجرين وإلى أخبـار معـارك بـدر وأحد فيـترك كل ذلك في نفسـها أثـرًا عميقًا وشعورًا إيجابيًا ميالاً.

الفراق:

وحـدث أن تـرامت إلى قـريش في مكة أخبار غزوة خيبر مشوهة على غير حقيقتها، ففرح المشركون وأخذوا يُسمعون العبـاس بن عبد المطلب كلامًا مؤذيًا كلما التقـوا به عند الكعبة، فيعود إلى داره مغمومًا حزينًا.

ولم يمض وقت طويل حـتى جـاء الخـبر اليقين بانتصـار المسـلمين وهزيمة اليهـود والاستيلاء على خيبر وما فيها.

فقـام العبـاس من فـوره ولبس أحسن الثياب وخرج إلى الناس وكأنه في يـوم عيد متزينًا متطيبًـــا، وجـــرى بينه وبين بعض المشركين المتغطرسين تحـاور، انتهى بـأن خرست ألســنتهم ولجمت أفـــواههم حين أخبرهم بأن من نقل إليهم الأخبـار قد غـرر

بهم وكـذب عليهم ليسـتخلص حقوقه منهم، وكـانت ميمونة – رضي الله عنها – في بيت شقيقتها أم الفضل تتـأثر بهم ومعهم وتميل بكل جوارحها إلى الإسلام، لكن وجودها في بيت زوجها أبي رهم كـــان يكتم أنفاســـها، يقيد منطقها ويبــدو أنها كـانت قد أسـلمت ولكنها تنتظر الفرصة المواتية للخـــروج من قمقم الشــرك والكفر إلى رحــاب الإيمــان وها هي الفرصة قد واتت.

فعنـدما عـادت إلى بيتها وضـمها أركـان الدار مع زوجها الذي كـان مغمومًا متضـايقًا حزينًا لا يطيق كلمـــــــة.. دخلت ميمونة – رضي الله عنها – وعلى وجهها علامـــــــات البشر والسرور فياضة الفرحة بادية الغبطة فحصل الصـــدام بينها وبينه وتلاحيا ثم أعلن الزوج غضبه عليها ومفارقتها (طلاقها).

فخرجت من عنده إلى بيت العباس تقيم عنــــده وكأنها تقيم في بيت أهلها فأختها أم الفضل بمثابة الأم، والعبــاس مكـان الأب فرحبا بها وأكرم نزلها ووفرا لها كل أسباب الراحة.

صلح الحديبية:

خــرج النــبي بالمســلمين من المدينة قاصــدًا مكة المكرمة لأداء العمــرة وتعظيم بيت الله الحــرام وســمع القرشــيون بــذلك وغضــبوا وثــاروا وأقســموا على منعه من دخولها عليهم عنوة، ولما أصبح المســلمون على مقربة من مكة على بعد أميــــال منها في مكان يــدعى (الحديبيــة) نسـبة إلى بـئر ماء كانت هناك توقفوا، لأن قريشًا أقسمت على الحرب والصد، واستعدت لــذلك، ومما هو جدير بالذكر والتسـجيل أن ناقة النـبي القصـــواء تـــوقفت عن المســـير في ذلك المكان.

فقــال بعض النــاس: لقد خلأت القصــواء ولم يدركوا أبعاد معنى هــذه الحركــة، فقط رســول الله أحس بــذلك وأدركه فقــال: «والله ما خلأت القصـــواء وليس لها بخلق ولكن حبسـها حـابس الفيـل، والـذي نفسي بيــده لا تســألني قــريش اليــوم خطة فيها تعظيم لبيت الله إلا وافقتهم عليها».

ثم جرت بين قــريش وبين رســول الله مفاوضـــــات ومراســـــلات وانتهت بتوقيع معاهــدة عــرفت فيما بعد بصــلح الحديبيــة،

ولقد تضمنت هذه المعاهدة بنـودًا عـدة من أهمها:

أن يأتي النـبي إلى مكة في عـام قابل ومعه المســلمون لا يحملـــون إلا ســـلاح المسافر أي: السيوف في أغمادها ليقيمــوا في مكة ثلاثة أيام، يـؤدون خلالها مناسـكهم وتخليها لهم قريش وألا يزيدوا على ذلك.

عمرة القضاء:

وعندما حل موعد الأجل المضروب سـار النــبي بالمســلمين وما أن شــارفوا مكة حــتى أذن الرســول فيهم بــالوقوف.. إذ اسـتقر رأيه على القيـام بمنـاورة بارعـة، فــأمر بتقســيم المســلمين إلى قســمين، يـدخل أولهما مكة للطـواف والسـعي وأداء المناســــــــك، ويبقى القسم الآخر مرابطًا بســلاحه خارجها على تمــام الأهبة للقـــاء المشركين إذا ما سولت لهم أنفسـهم شـرًا أو عدوانًا وغـدرًا ثم سـاروا حـتى انكشـفت لهم الــبيت الحــرام الــذي حيل بينهم وبينه منذ عام مضى ومنعـوا عنه سـنوات طـوالاً فما كــادوا يرونه حــتى علا صـــوتهم جميعًا

بالتهليل والتكبير، وأحاط المسلمون بـالنبي في إعـزاز وإكبـار وما أن أهلت جمـوعهم حتى جلا القرشيون عن مكة مسـرعين إلى التلال والجبـال الـتي تحيط ببطن الـوادي؛ لأنهم لم يقتنعوا ولا يريدون أن يروا محمـدًا وصحبه يعودون إلى مكة.

بعد أن غادروها منذ أعـــــوام تحت جنح الليل الحالك وسواده الداهم أذلاء مقهورين مبعدين أو هاربين مهاجرين.

وكـــــان قد بقي في مكة عـــــدد من المســلمين المستضــعفين لا يســتطيعون حــولاً ولا طــولاً يتخفى بعضــهم ويمــالئ بعضهم الآخر قريشًا ومنهم ميمونة – رضي الله عنها -.

خلوا بني الكفار عن سبيله:

دخل النَّبي مكة فرحًا، وكذلك أصحابه، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمـــــــام ناقة رسول الله القصواء فكـان يرتجز الشـعر، فـــأراد عمر بن الخطـــاب أن يمنعه من ذلـك، فنهـاه النـبي وقـال لـه: **«دعه يا عمر والله لوقع كلامه أشد عليهم**

أي: المشركون من ضـربات الحسـام ووقع السهام».

فاستمر عبد الله يرتجز ويردد:

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا فكان الخير في
يا رب إني مؤمن بقيله
أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضربًا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

وكـانت ميمونة – رضي الله عنها – تنظر إلى ذلك وتستمع فيكــاد قلبها يقفز من بين جناحها إعجابًا وحبًـــا، وطـــاف النـــبي بالمسلمين وسعى ونحر الهدي وحلق رأسه الشـــريفة وأتمَّ مناسك العمـــرة، وأقــام مع أصحابه ثلاثة أيام.

ثم بعد ذلك دخل إلى مكة القسم الــذي كان خارجها حارسًا وخرج القسم الذي أدَّى المناسك.

ميمونة تعـرض نفسـها على رسـول

الله:

لقد كـــانت ميمونة – رضي الله عنها – إلى عهد قــريب مؤمنة تكتم إيمانهــا، فــإذا بهذا الإيمان يتفجر كالبركان عند رؤية النبي فهـــــوت بكليتها إليه وأعلنت رغبتها على الملأ ولم تقف عند هذا الحد، بل طلبت إلى العبـــاس زوج أختها أم الفضل أن يعـــرض الرغبة على رسول الله وأن تكون ميمونة له زوجة.

موقف النبي :

ومن غير تردد ولا إبطاء قبل النبي هذا العــرض لمــاذا؟ لأنه كـان يــرى فيها وفي أخواتها (الأخـــوات المؤمنـــات) تعاطفًا مع الــدين الحـنيف منذ أن أشــرق فجــره وعم ضـــــــــــــياؤه، أضف إلى ذلك أنَّها -رضي الله عنها- قد تأيمت حــديثًا وأنها هي التي أبدت رغبتها.

وتم العقد وأصـدقها رسـول الله كمثل غيرها من نسائه: أربعمائة درهم.

أخرج عنا:

وكانت مدة الأيام الثلاثة التي نصَّ عليها،

صـــــــــلح الحديبية قد انقضت فأرسل القرشيون إلى النبي يقولون: لقد انقضى أجلك فـأخرج عنـا.. فابتسم النـبي وقـال لرسولهم: «ما عليكم لو تركتموني فأعرس بين أظهـــــــركم وصـــــــنعنا لكم طعامًا فحضرتموه؟»

إذا أراد – عليه الصـــلاة والســـلام – أن يتخذ من زواجه من ميمونة ذريعة لإطالة مـــدة إقامته فقد يجـــدد الحـــوار بينه وبين قريش، لعل الله – سـبحانه وتعـالى – يلقي في قلــوبهم الإيمــان ويكشف عن عيــونهم وأفئدتهم غشاوة الجهل، وأقــام حفلاً وأولم ودعا إلى الوليمة أكابرهم وزعماءهم، فـأبوا أن يحضـروا، بل قـالوا: في إصـرار لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنـا، قـالوا ذلك وهم يتوجســون خيفة من بقائه أكــثر من ذلــك، لأنهم أدركــوا ما تركته زيارته هــذه من أثر في بعض المؤمنين والتف الكثيرون حوله.

وها هي ميمونة بنت الحارث إحدى أبـرز ســـيداتهم لا تكتفي بإظهـــار إســـلامها بل تضـــيف إليه ما يريد غيظهم حين تعـــرض

على رسول الله نفسها زوجة له.

وفي هــذا الحفل الحاشد أعلن النــبي زواجه من ميمونة وحفاظًا منه على نصـــوص معاهـــدة الحديبية لم يبن بها في مكة وطلب إلى مؤذنه أن يـــــؤذن بالتوجه إلى المدينة.

وحين أصبح في مكان من ضـواحي مكة يدعى (سرف) على بعد عشـرة أميـال منها ضرب معسكرًا، وبني بميمونة في قبة لها.

في بيت النبوة:

وصـــلت ميمونة – رضي الله عنها – إلى المدينة واستقرت في البيت النبوي الطاهر زوجة كريمة وأمًا فاضـلة للمؤمـنين تُـؤدِّي واجب الزوجية على خـــير ما يكـــون الأداء سمعًا وطاعة وإخلاصًا ووفاء.

وضـــمَّ إليها رســـول الله في حجرتها أختها ســـلمى أرملة عمه حمـــزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسـول الله وسـيد الشـهداء فهل رأينا نبلاً ووفـاء كالـذي كـان يتمتع به رسـول الله والـذي أكرمه به ربه – ســبحانه وتعــالى – حقًا وصــدقًا: ﴿وَإِنَّكَ

لَعَلى خُلُـقٍ عَظِيمٍ [القلم: 4]، وفي هـذا العام فجع النبي بكبرى بناته زينب فقامت ميمونة – رضي الله عنها – تواسـيه وتخفف ما به من ألم المصـــــــاب ولم تكن لتثقل كاهله بشكوى وطلب.

الوفاة:

بعد أن لحق النـــبي بـــالرفيق الأعلى عاشت ميمونة سـنين عـدة بلغت خمسـين عامًـا، أمضـتها صـلاحًا وتقـوى وفيِّة لـذكرى ســـيد ولد آدم ورســـول الهـــدى ومعلم الإنسـانية محمد بن عبد الله – صـلوات الله وســــــلامه عليه – لقد أحبت ميمونة فيه الروح والقلب وشفافية النبوة.

ويـروى أنها كـانت تحج ذلك العـام عـام وفاتها وداهمها المــــــــرض بعد أن أدت المناسك وحيت تماثلت للشفاء، حملت في هودجها إلى المدينة وكـــان معها ابن أختها عبد الله بن عبــاس فلما قــارب الــركب (ســرف) هــاجت بها الــذكرى وثــارت في جوارحها.

فلم يقو البـــدن الضـــعيف على التحمل فنزلوا بها هناك وما هي إلى سـاعات حـتى

لفظت الأنفـاس الطـاهرة، وصـعدت روحها العفيفة البرئية إلى بارئها، فقام ابن عبـاس -رضي الله عنهما- بتجهيزها ودفنها.

رضي الله عنهـا، وأنـزل عليها شـأبيب رحمته وبوأها مقام الأبرار الصالحين.